



رابطة العالم الإسلامي  
الأمانة العامة  
الإدارة العامة للمؤتمرات والمنظمات

## الإعلام الجديد : التحديات والفرص

إعداد

الدكتور عباس مصطفى صادق

المستشار في تلفزيون أبو ظبي بدولة الإمارات العربية المتحدة

مقدم إلى

مؤتمر مكة المكرمة الثالث عشر

التحديات الإعلامية في عصر العولمة

الذي تنظمه رابطة العالم الإسلامي

مكة المكرمة - المملكة العربية السعودية

٥ - ٧ / ذو الحجة / ١٤٣١ هـ

١١ - ١٣ / نوفمبر / ٢٠١٠ م



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ



## مدخل :

أوجد تطور المستحدثات الاتصالية مجموعة لا حد لها من التحديات ، وخلق مجالاً غير محدود من الفرص - في كافة المجالات : التكنولوجية والعلمية والثقافية والاقتصادية والاجتماعية - في وقتٍ يستأثر فيه الإعلام الجديد بالكثير من الاهتمام من قبل المشتغلين بالإعلام وغيرهم ، وتساؤلات حول حالة الانتقال السريع الذي نشهده ؛ من مرحلة الكلام المسموع والمكتوب والمطبوع ؛ إلى مرحلة الوسائط المتعددة وانتقال أدوات الاتصال وتطبيقاته المختلفة، من قبضة المؤسسات إلى يد الجمهور .

## تطور (البحث عن إعلام جديد)

فكرة البحث عن إعلام جديد ليست وليدة التغيير الذي نشهده حالياً في كافة مناحي الحياة ، فعند انهيار المعسكر الاشتراكي ؛ تحدث الناس كثيراً عن النظام العالمي والإعلامي الجديد ، وقد شهدت فترة الحرب الباردة الكثير من الشد والجذب حول المبادئ الإعلامية التي ينبغي أن تسود العالم ؛ ومنها: ( بناء نظام إعلامي جديد) .

وكما يرتبط النظر في موضوع الإعلام الجديد بالانتقال التكنولوجي - مثلما حدث بعد ظهور المطبعة والتلغراف والفونوغراف والمذياع والتلفاز ثم الإنترنت ، والتي قسمها المختصون إلى تكنولوجيا تقليدية وأخرى مستحدثة جديدة - ، فإنه أيضاً يرتبط بالنظام الإعلامي نفسه .

وقد قسمه بعض الناس أيضاً إلى : نظام جديد ، ونظام قائم رفضته دول الجنوب التي علت أصواتها لإثبات الاستقلال السياسي ؛ بعد التخلص من سيطرة الاستعمار على أرض الواقع مرحلة الخمسينات .

وقد كان القرن العشرين في حالة تباين في النظام الاتصالي ؛ بين دول لديها أنظمة اتصال قوية عابرة للحدود ، ودول بالكاد تستطيع تدبير أمور اتصالاتها محلياً ، بين من يؤمن بحرية الاتصال وحق الإنسان فيه ، وبين من يرفضه .

البحث عن فكرة الإعلام الجديد نوقشت أيضاً بجديّة ضمن مشروع الحالة الانتقالية للإعلام<sup>(١)</sup> ؛ في مبادرة لمعهد ماسوشسيتس الأمريكي ؛ بدأت في أكتوبر ١٩٩٩ م.

وفي عام ٢٠٠٣ م أصدرت مطبعة معهد ماسوشسيتس الأمريكي كتاباً شارك في تحريره عدد من الباحثين ؛ منهم غيتلمان Gitelman وبنغري Pingree ، والكتاب يعضد الفكرة نفسها.

ومن عنوان المشروع ومجموع المؤتمرات والكتاب المذكور وفصوله ؛ يقرر مجموعة الباحثين بأن الإعلام كان دائماً - وسيظل - في حالة انتقالية ، وأن كل أجهزة الإعلام كانت جديدة عندما ظهرت واستخدمت لأول مرة .

ويتحدّى المشروع فكرة دراسة الإعلام الجديد بتكريس إعلام اليوم الجديد . وهو يركز في نصه على بناء فكرة الجدة في الإعلام في سياقاتها التاريخية ، ويقول: إن لحظات الانتقال من أجهزة ونظام سابق إلى إعلام جديد لم يعرف لحد الآن بشكل كامل ، ويقدم الكتاب نماذج لأدوات مألوفة (مثل الهاتف والفونوغراف) كبدايات جديدة غير مسبوقة ،

(١) للمزيد حول تجربة الحالة الانتقالية للإعلام ؛ انظر :

وكمشروعٍ عودةٍ لتعميق فهمنا التاريخي لكل أجهزة الإعلام التي أحدثت انقلاباً في طريقة عيش الإنسان .

"فكلّ وسائل الإعلام كانت جديدة إذن - كما يرى بنغري و غيتلمان -  
ويستخدم المؤلفان تعبير بروس استيرلينغ Bruce Sterling : (الإعلام  
الهامد) Dead Media للتعبير عن أن بعض وسائل الإعلام لم تعد مستعملة ،  
وفي العديد من الحالات ، ظلت منسية لمدة طويلة ؛ لم تحصل على  
الفرصة كي تصبح جزءاً من نسيج الحياة اليومية" <sup>(١)</sup>.

وقد أنشئ الإنترنت - على سبيل المثال - لغرضٍ ، ثم امتد لأغراضٍ  
أخرى ، وهنالك مبتكرات إعلامية ؛ بعضها وجد صدىً حين خرج لأول  
مرة ، وبعضها فقد بريقه رغم أنه مهدّ لثوراتٍ أخرى - مثل السايونوتريس  
The Physiognotrace والزوغراسكوب Zograscope ،  
والميمكس Memex ومشروع إكساندو Xandua وغيرها - قبل أن يستقر  
الرأي على الطباعة والهاتف والإذاعة والتصوير والتسجيلات ووسائل  
عرضها ثم التلفاز والأقمار الصناعية و الإنترنت ؛ على أنها المفاصل  
الرئيسة لتكنولوجيا الإعلام .

(١) انظر :

Lisa Gitelman, Geoffrey B. Pingree. New Media, 1740-1915 Media in Transition, the MIT Press, USA. April 1, 2003.

## الإعلام الجديد ليس شيئاً واحداً

تدل الأسماء المتعددة للتطبيقات الإعلامية المستحدثة ؛ على أرضية جديدة لهذا الإعلام ، فهو الإعلام الرقمي Digital Media لوصف بعض تطبيقاته التي تقوم على التكنولوجيا الرقمية ( كالتلفاز الرقمي والمذياع الرقمي وغيرهما) ، أو للإشارة إلى أية وسيلة إعلامية تندمج مع الحاسوب ؛ ويطلق عليه: الإعلام التفاعلي Interactive Media ، طالما توفرت حالة العطاء والاستجابة بين المستخدمين لشبكة الإنترنت والتلفاز والمذياع التفاعليين ، وصحافة الإنترنت وغيرها من النظم الإعلامية التفاعلية الجديدة.

وهو أيضاً الإعلام الشبكي الحي على خطوط الاتصال Online Media بالتركيز على تطبيقاته في الإنترنت وغيرها من الشبكات.

كما يطلق عليه تعبير الوسائط السيبرونية Cyber Media من تعبير الفضاء السيبروني Cyber Space الذي أطلقه كاتب روايات الخيال العلمي ويليام غبسون William Gibson في روايته التي أصدرها عام ١٩٨٤ باسم Neuromancer ، والتعبير مأخوذ من علم السيبرنطيقا Cybernetics المعروف عربياً بعلم التحكم الآلي ، وتعني السايبرميديا : العالم المصنوع من المعلومات الصرفة التي تأخذ - ليس فيزيائياً - شكل المادة ، ويصف التعبير وسائل التحكم الإلكتروني التي حلت محل الأداء البشري ، ولكنه يستخدم هنا لوصف فضاء المعلومات في الإنترنت.

يطلق على الإعلام الجديد أيضاً صفة : إعلام المعلومات Info Media للدلالة على التزاوج بين الحاسوب والاتصال ، وعلى ظهور نظام إعلامي جديد يستفيد من تطور تكنولوجيا المعلوماتية ويندمج فيها ، ويطلق عليه :



إعلام الوسائط التشعبية Hypermedia لطبيعته المتشابكة ، وإمكانية خلقه لشبكة من المعلومات المتصلة مع بعضها بوصلات تشعبية أو قاطرة Hyperlinks .

وهنا نحن معنيون بميزات خاصة بشبكة الإنترنت التي أعطت ميزة التشعبية والوصلات Links لما ينشر أو يبث داخلها ، كما يطلق على بعض تطبيقات هذا الإعلام المستحدث : إعلام الوسائط المتعددة Multimedia ؛ نظراً لحالة الاندماج التي تحدث داخله بين النص والصورة والفيديو .

ونلاحظ ارتباط بعض هذه الأسماء بتطبيقات الحاسوب ، فبعضها خرج من طبيعة الوسيط الاتصالي ، وأخرى من خبرات ثقافية يصعب إيجاد تعبير مقابل لها خارج البيئة التي ولدت فيها ، كما أن بعض الأسماء يشير إلى تطبيق جزئي من تطبيقات الإعلام الجديد أو إحدى ميزاته - كما هو الحال بالنسبة للتسميات التي تنطلق من ميزات شبكة الإنترنت - وبعضها يُلم بأطراف أخرى من الوسائل ؛ مما يوسع من قاعدة التعريف وقاعدة الوسائل والتطبيقات والخصائص والتأثير للإعلام الجديد بشكل عام .

ويعرّف قاموس التكنولوجيا الرفيعة High-Tech Dictionary الإعلام الجديد بشكل مختصر بأنه : " اندماج الحاسوب وشبكات الحاسوب والوسائط المتعددة " <sup>(١)</sup> .

وبحسب ليستر Lester : "الإعلام الجديد هو مجموعة تكنولوجيات الاتصال التي تولدت من التزاوج بين الحاسوب والوسائل التقليدية للإعلام ،

(١) انظر :

Definition for New Media, High-Tech Dictionary.

<http://www.computeruser.com/resources/dictionary/dictionary.html>. Accessed: Oct. 2006.

كالطباعة والتصوير الفوتوغرافي والصوت والفيديو" (١).

ويُعرّفه قاموس الحاسوب Computing Dictionary عبر مدخلين هما:

١ / "أن الإعلام الجديد يشير إلى جملة من تطبيقات الاتصال الرقمي وتطبيقات النشر الإلكتروني على الأقراص بأنواعها المختلفة (التلفاز الرقمي والإنترنت).

وهو يدل على استخدام الحاسوب الشخصي والنقال ، فضلا عن التطبيقات اللاسلكية للاتصالات والأجهزة المحمولة في هذا السياق .

وتخدم كل أنواع الحاسوب تطبيقات الإعلام الجديد في سياق التزاوج الرقمي Digital Convergence ؛ إذ يمكن تشغيل الصوت والفيديو بالتزامن مع معالجة النصوص وإجراء عمليات الاتصال الهاتفي وغيرها مباشرة من أي حاسوب .

٢ / المفهوم يشير أيضاً إلى الطرق الجديدة في الاتصال في البيئة الرقمية، بما يسمح للمجموعات الأصغر من الناس بإمكانية الالتقاء والتجمع على الإنترنت وتبادل المنافع والمعلومات، وهي بيئة تسمح للأفراد والمجموعات بإسماع صوتهم وصوت مجتمعاتهم للعالم أجمع" (٢).

(١) انظر :

Dr. Paul Martin Lester, California State University.

<http://commfaculty.fullerton.edulestercurriculumnewmedia.html>. Accessed: July. 2006.

(٢) انظر :

Definition: New Media. Computing Dictionary.

<http://computing-dictionary.thefreedictionary.com/new+media>. Accessed: Sep. 2006.

ويعرّف (قاموس الإنترنت الموجز) Condensed Net Glossary الإعلام الجديد بأنه: "أجهزة الإعلام الرقمية ، أو صناعة الصحافة على الإنترنت ، ويتضمن التعريف إشارة لأجهزة الإعلام القديمة ، وهو هنا تعبير غير انتقاصي ، يستخدم لوصف نظم إعلام تقليدية جديدة : الطباعة ، التلفاز ، المذياع ، والسينما" (١).

وبحسب موسوعة الويب المعروفة باسم ويوبديا Webopedia فإن تعبير الإعلام الجديد يشير إلى : "العديد من الأشكال المستحدثة من نظم الاتصال الإلكتروني التي أصبحت ممكنة بفضل الحاسوب.

والتعبير مرتبط أيضاً بالنظم الإعلامية القديمة ، فإذا ما قمنا بعقد مقارنة بين الصحافة الورقية - التي تتصف بحالة سكون في نصوصها وصورها - مع صحافة الإعلام الجديد ؛ نلمس الفرق في ديناميكيتها وفي حالة التغير المستمر الذي تتصف به ، فالتعبير يشير إلى قابلية إجراء الاتصال بين الأجهزة الثابتة والمحمولة بأنواعها المختلفة ، بما يمكن معه نقل المعلومات بين بعضها البعض.

وتقوم وسائل الإعلام التقليدية على نظام ثابت معروف ، إما بالاتصال من واحد إلى واحد Point-to-point (كالهاتف) ، أو من واحد إلى الكثيرين Point-to-many (كالتلفاز والمذياع) .

(١) انظر :

أما الإعلام الجديد وتطبيقاته المختلفة - وبخاصة المرتبطة بالإنترنت - فإن هذا النمط تغير بشكل جذري ؛ فقد مكنَّ الإنترنت من الوصول إلى كل الأشكال المحتملة من نقاط الاتصال"<sup>(١)</sup>.

أما جونز Jones<sup>(٢)</sup> فيقر أولاً بعدم وجود إجابة وافية وقاطعة عن السؤال: ما هو الإعلام الجديد ؟ ويبني إجابته على أن هذا الإعلام "هو في مرحلة نشوء". فالإعلام الجديد مصطلح يستخدم لوصف أشكال من أنواع الاتصال الإلكتروني باستخدام الحاسوب ؛ كمقابل للإعلام القديم (كالصحافة المكتوبة من جرائد ومجلات والتلفاز والمذياع وغيرها من الوسائل الساكنة Static). .

ويتميز الإعلام الجديد عن القديم بخاصية الحوار بين الطرفين - مرسل الرسالة ومستقبلها - ومع ذلك فإن الفواصل بين الإعلام الجديد والقديم ذابت ، لأن القديم أعيدَ تكوينه وتحسينه ومراجعتة ؛ ليلتقي مع الجديد في بعض جوانبه<sup>(٣)</sup>.

(١) انظر :

New Media Definition <[http://www.webopedia.com/TERM/N/new\\_media.html](http://www.webopedia.com/TERM/N/new_media.html)

(٢) البروفيسور ستيف جونز Steve Jones هو رئيس قسم الاتصال بجامعة ايلنوي في شيكاغو University of Illinois - Chicago ومؤلف موسوعة الإعلام الجديد The Encyclopedia of New Media ورئيس تحرير جمعية الإعلام الجديد New Media & Society.

(٣) انظر :

Steve Jones , Encyclopedia of New Media : An Essential Reference to Communication and Technology . SAGE Publications. 2002 .

أما نيغروبونتي Negroponte <sup>(١)</sup> فيحصر الميزات التي يتحلى بها الإعلام الجديد - مقارنة بما سبقه - في: " استبداله الوحدات المادية بالرقمية ، أو البيئات بدلاً عن الذرات Bits not Atoms كأدوات رئيسة لحمل المعلومات التي يتم توصيلها؛ في شكل إلكتروني وليس في شكل فيزيائي " <sup>(٢)</sup>.

ويشترك فين كروسبي Crosbie مع نيغروبونتي في نفس الأفكار بالإشارة إلى أن الرسائل الفردية يمكن أن تصل في وقت واحد إلى عدد غير محدود من البشر، كل واحد منهم البشر له نفس درجة السيطرة والإسهام المتبادل في هذه الرسالة " <sup>(٣)</sup>.

ويقول ليف مانوفيتش Manovich: " لكي نفهم طبيعة الإعلام الجديد، فإنه يجب علينا النظر إلى الدور التكاملي للحاسوب في عمليات الإنتاج كلها، وفي وسائل الإعلام التي أحدثت تغييرات هائلة في طبيعة الاتصال، فكل الأشكال الجرافيكية وأنواع الرسم، والصور، والمؤثرات، والأصوات، والنصوص؛ أصبحت تتم بواسطة الحاسوب <sup>(٤)</sup>. " ويعرفه

(١) نيكولاس نيغروبونتي Nicholas Negroponte مؤسس معمل الإعلام الجديد في ماسوشيسيتس MIT Media Lab وصاحب مبادرة الكمبيوتر زهيد الثمن التي طرحها في مؤتمر المعلوماتية في تونس.

(٢) Nicholas Negroponte, Being Digital. Publisher Vintage USA. 1996. p 37

(٣) Vin Crosbie, 1998. What is New Media ?

<http://www.digitaldeliverance.com/philosophydefinitiondefinition.html>. Accessed July. 2006

(٤) Lev Manovich. Language of New Media, The MIT Press 2001.

جونز Jones<sup>(١)</sup> بأنه : "مصطلح يستخدم لوصف أشكال من الاتصال الالكتروني باستخدام الحاسوب ؛ كمقابل للإعلام القديم".

ويبني فيدلر Fidler مدخله النظري لفهم الإعلام الجديد ومستويات تبنيّه ؛ باستقراء النموذج الكلاسيكي لتبنيّ المستحدثات لإيفرت روجرز Everett Rogers ورؤى بول سافو Paul Saffo التي تقول إن الأفكار الجديدة تأخذ حوالي ثلاثة عقود كاملة حتى تتسرب إلى ثقافة المجتمع والأفراد ، ويقول فيدلر إن عملية تغيير جذري تتم للوسائل القائمة ؛ يطلق عليها تعبير Mediamorphosis ، وهو مصطلح نحتة فيدلر بنفسه في بداية التسعينيات ؛ للدلالة على التحول الكامل الذي يجري لوسائل الاتصال ، والذي فرضته التفاعلات المعقدة للحاجات الأساس ، والضغط السياسية والاجتماعية والابتكارات التكنولوجية<sup>(٢)</sup> .

ويُبيّن الدكتور سعود كاتب ؛ فكرته في التفاعلية كأهم مظاهر التميز: "فخاصية توفير مصادر المعلومات والتسلية لعموم الناس بشكل مُيسر وبأسعار منخفضة هي خاصية مشتركة بين الإعلام ين القديم والجديد ، والفرق : أن الإعلام الجديد قادر على إضافة خاصية جديدة لا يوفرها الإعلام القديم - وهي التفاعل - أي قدرة وسيلة الاتصال الجديدة على الاستجابة للتحديث ؛ تماماً كما يحدث في عملية المحادثة بين شخصين .

(١) البروفيسور ستيف جونز Steve Jones هو رئيس قسم الاتصال بجامعة أيلنوي في شيكاغو University of Illinois - Chicago ومؤلف موسوعة الإعلام الجديد The Encyclopedia of New Media ورئيس تحرير جمعية الإعلام الجديد New Media & Society.

(٢) Roger F. Fidler. Mediamorphosis: Understanding New Media, Sage Publications, Inc. First edition 1997.

هذه الخاصية أضافت بُعداً جديداً لأنماط وسائل الإعلام الجماهيري الحالية، والتي تتكون من منتجات ذات اتجاه واحد؛ يتم إرسالها من مصدر مركزي (كالصحيفة أو التلفاز أو المذياع) إلى المستهلك، مع إمكانية اختيار مصادر المعلومات والتسلية التي يريدونها؛ متى أرادها، وبالشكل الذي يريده (كقنوات التسوق المنزلي Home shopping على أنظمة الكيبل وعلى الإنترنت)<sup>(١)</sup>.

### الخصائص العامة للإعلام الجديد

فالإعلام الجديد تولّد من التزاوج بين تكنولوجيات الاتصال والبث - الجديدة والتقليدية - مع الحاسوب وشبكاته، تعددت أسماؤه ولم تتبلور خصائصه النهائية بعد، وهو يأخذ هذا الاسم لأنه لا يشبه وسائط الاتصال التقليدية؛ لا في الوسيلة ولا في التطبيقات، وقد نشأت داخله حالة تزامن في إرسال النصوص والصور المتحركة والثابتة والأصوات.

ويمكن تقسيم الإعلام الجديد إلى الأقسام الأربعة الآتية:

- الإعلام الجديد القائم على الإنترنت وتطبيقاته، وهو جديد كلياً؛ بصفات وميزات غير مسبوقة، وينمو بسرعة، وتتولد عنه مجموعة تطبيقات لا حصر لها.

- الإعلام الجديد القائم على الأجهزة المحمولة - بما في ذلك أجهزة قراءة الكتب والصحف - وهو أيضاً ينمو بسرعة، وتنشأ منه أنواع جديدة من التطبيقات على الأدوات المحمولة (كأجهزة الهاتف والمساعدات الرقمية الشخصية وغيرها).

(١) دكتور سعيد صالح كاتب، الإعلام القديم والإعلام الجديد، هل الصحافة المطبوعة في طريقها إلى الانقراض؟ المدينة المنورة للطباعة والنشر، جدة ٢٠٠٢.

- نوع قائم على منصة الوسائل التقليدية (كالمذياع والتلفاز) ؛ التي أضيفت إليها ميزات جديدة ؛ كالتفاعلية والرقمية والاستجابة للطلب.

- الإعلام الجديد القائم على منصة الحاسوب Offline ، ويتم تداول هذا النوع إما شبكياً أو بوسائل الحفظ المختلفة (كالأسطوانات الضوئية وما إليها) ، ويشمل العروض البصرية وألعاب الفيديو والكتب الإلكترونية وغيرها<sup>(١)</sup>.

إذن ؛ وبحسب ما ورد من مداخل وتعريفات ونقاش ؛ يمكن التعبير عن الإعلام الجديد بما يلي :

- أنه ليس بثاً أحادياً ولا إجبارياً مثل نظم الإعلام القديم ؛ ولكنه تفاعل يختار فيه الناس احتياجاتهم ، ويشاركون في الوقت ذاته - بالرأي وغيره - بإعلام شخصي خاص بكل فرد على حدة .

- أن الأسس التي يقوم عليها تختلف عما سبق ، وهي تشمل : الرقمية ، التفاعلية ، التشعبية ، الفردية ، التخصيص ، الجماهيرية ، وتزاوج الوسائط والتكنولوجيات .

- هناك تغيير كامل في الوسائل الإعلامية القائمة تكنولوجياً وتطبيقياً ، وهنالك مستحدثات إعلامية تأخذ مكانها الآن ؛ جاءت بتطبيقات وخصائص جديدة وأن حالة جديدة - هي وسائل الإعلام حسب الطلب - Media Customization تأخذ مكان وسائل الاتصال الجماهيري Mass Media .



• أن عملية تحويل وتغيير جذرية تتم للوسائل القائمة  
 Metamorphosis ؛ عندها ستكون أجهزة التلفاز والمذياع خارج نطاق  
 الاستخدام ؛ كونها تعمل في اتجاه واحد ، والتغيير الجاري يتجه نحو بناء  
 وسائل تفاعلية Interactive Media .

• في هذا الإعلام ؛ تعمل الأجهزة التقليدية على منصة الحاسوب ،  
 وتصنع عالما اتصاليا جديدا ثنائي الاتجاه ؛ له مزايا لم تكن متوفرة في  
 الإعلام القديم .

من خلال تلك التعريفات المختلفة ؛ تبدو استحالة وضع تعريف شامل  
 عن الإعلام الجديد ، لعدة أسباب ، منها :

- أن هذا الإعلام يمثل مرحلة انتقالية من ناحية الوسائل والتطبيقات  
 والخصائص التي لم تتبلور بشكل كامل وواضح ، فهي ما زالت في حالة  
 تطور سريع ، وما يبدو اليوم جديداً يصبح قديماً في اليوم التالي ، وهذا  
 يفسر صعوبة وضع تعريف ثابت للإعلام الجديد ، بينما يختلف الوضع إذا تم  
 وضع التعريف بناء على مجموعة الخصائص التي تميز الإعلام الجديد ؛  
 فهناك شبه اتفاق على جملة خصائص يتصف بها هذا الإعلام ، سنفصلها  
 لاحقاً.

ولكن يمكن أن نخلص من جملة التعريفات ؛ إلى أن الإعلام الجديد  
 هو : حالة من التنوع في الأشكال والتكنولوجيا والخصائص التي حملتها  
 الوسائل المستحدثة عن التقليدية ؛ وبخاصة فيما يتعلق بحالات الفردية ،  
 والتخصيص ، وهما نتيجة ميزة رئيسة هي التفاعلية .

فإذا كان الإعلام الجماهيري ، والإعلام واسع النطاق هو إعلام القرن العشرين ، فإن الإعلام الشخصي والفردي هو إعلام القرن الجديد ، فالإنترنت - أحد أدواته - جعل في مقدور أي إنسان البحث عما يريد من الأغنية والبرنامج التلفزيوني والفيلم السينمائي والمعلومات الصحفية والعلمية ؛ في الوقت الذي يريد .

ولكننا يجب أن نتفق على أن الإعلام الجديد ليس الإنترنت فقط ، فبعض تطبيقاته بعيدة كلياً عن المبادئ التي تقوم عليه تكنولوجيا الإنترنت ، فالإعلام الجديد يستبطن عدداً من التكنولوجيات الاتصالية التي ظهرت بعد أول تطبيق للنشر الإلكتروني ؛ من نص وصور ساكنة في نظم الحاسوب والشبكات المبكرة، إلى تطبيقات الاتصال غير المسبوقة على شبكة الإنترنت.

ونخلص هنا بالتأكيد إلى مجموعة من الخصائص والمميزات التي يتميز بها الإعلام الجديد عما سبقه، وهي دمجها للوسائل المختلفة - القديمة والمستحدثة- في مكان واحد ، على منصة الحاسوب وشبكاته ، وما ينتج عن ذلك الاندماج من تغيير انقلابي للنموذج الاتصالي الموروث ؛ بما يسمح للفرد العادي بإيصال رسالته إلى من يريد ، في الوقت الذي يريد ، بطريقة واسعة الاتجاهات - وليس من أعلى إلى أسفل وفق النموذج الاتصالي التقليدي - فضلاً عن تبنيه للتكنولوجيا الرقمية والتفاعلية والتشعبية ، وتطبيقات الواقع الافتراضي ، وتعددية الوسائط ، وتحقيقه لميزات الفردية والتخصص ، وتجاوزه لمفهوم الدولة الوطنية والحدود الدولية .

## جذور البحث عن إعلام جديد

في ١٦ من نوفمبر ١٩٤٥ م ؛ تأسست منظمة الأمم المتحدة للتربية والعلوم والثقافة (اليونسكو) للهدف الذي حددته المنظمة لنفسها ؛ (وهو بناء حصون السلام في عقول البشر ؛ عن طريق التربية والعلم والثقافة والاتصال ) ، ولكي تعمل مجتمعات المعرفة بصورة فعالة ؛ فلا بد من تبادل المعلومات بصورة حرة ، ونشر المعلومات والأفكار والمعرفة على نطاق واسع .

وقد حددت وثيقة اليونسكو وظائف الاتصال بأنه : (جمع وتخزين ومعالجة ونشر المعلومات والأخبار ، وتوفير الحقائق اللازمة حول القضايا العامة ؛ من خلال الحوار والنقاش وتعزيز نمو المعرفة ) .

ولكن بدلا من المضي قُدُما في هذه الأهداف التي كانت تتوافق مع حالة الحرب الباردة ؛ أصبحت المنظمة نفسها ساحة لهذه الحرب التي كرسست حالة التفكير في الإعلام الدولي لفترة طويلة من الزمن ، وكان الموضوع الإعلامي دائما ما يُطرح مرتبطاً بقضايا التدفق الحر غير المتوازن للمعلومات والأخبار ؛ من الشمال إلى الجنوب ، وقضايا التبعية الإعلامية والثقافية ، بعد التبعية السياسية والاقتصادية ، وبناء الصور النمطية - السلبية عادة - عن ذلك الجنوب الأقل نمواً وتطوراً وحراكاً<sup>(١)</sup> .

كان اليساريون ينظرون إلى اليونسكو على أنها منظمة برجوازية ؛ برغم أنهم أداروا من خلالها معركتهم الاتصالية ، وعملوا من خلالها على بناء

(١) منظمة الأمم المتحدة للتربية والعلوم والثقافة ، منظمة اليونسكو، تعريف الأهداف . موقع

النظام الإعلامي الجديد ، فيما كان يراها المعسكر الرأسمالي منظمة مائلة تماماً نحو اليسار ، ولذا أعلن بعضهم الحرب عليها ، وقاد معركته الاتصالية بعيداً عنها. ووسط القوتين ؛ برز الحديث عن ضرورة وجود نظام جديد للإعلام والاتصال. ولكن المناداة به لم تكن أحادية تماماً؛ فلدى المعسكر الاشتراكي رؤيته حولها؛ والتي تقول: " إن المسوغات الأساس للمناداة بهذا النظام الجديد للإعلام والاتصال؛ انطلقت من وجود خلل في مجالات الاتصال - على النطاق الدولي - من تحكّم عدد محدود من وكالات الأنباء .

ومعظم ذبذبات البث تملكها عدة بلدان صناعية لا يتجاوز عدد سكانها عشر سكان الكرة الأرضية ، ومعظم الأقطار الصناعية تعود لبضعة بلدان صناعية " (١).

كانت النظرة الغربية للنظام الإعلامي السلطوي كما يلي : " تصمم وسائل الاتصال في العالم الشيوعي لتلعب دوراً سياسياً هادياً ؛ هو تأدية وظيفة تعليمية ضخمة ؛ تتمثل في الدعاية داخليا وخارجيا ؛ لضمان عرض الأيدلوجية الماركسية اللينينية وحدها ، بالإضافة إلى سياسات الحزب الحالية ، وهي أيضا أداة مهمة في الصراع الأيدلوجي بين الشيوعيين والرأسماليين " (٢).

(١) للمزيد ؛ انظر :

حسين العودات ، وسائل الإعلام القديمة والحديثة ، المطبعة الجديدة ، دمشق ١٩٨٧ ، ص ١١٥ .  
(٢) جون مارتن وانجلو جروفر شودري ، ترجمة علي درويش ، نظم الإعلام المقارنة ، مقال لجون كارس نقلا عن تولكلرنوف ١٩٧٧ وشسكاسوف ١٩٧٨ . الدار الدولية للنشر والتوزيع ، القاهرة ، ١٦١

## أوجه الصراع القديم بين النظم الإعلامية :

وتستذكر بعض الكتابات ؛ تاريخاً بعيداً لصراع الشمال والجنوب حول التفاوت الاتصالي ؛ فيما عُرف في الولايات المتحدة بـ لجنة كوبر: " فبمقتضى عقد وقّعه وكالة أسوشيتدبرس في ١٨٩٣ م مع ثلاث وكالات أبناء أوروبية (هي: رويترز، وولف ، وهافاس) ؛ تنازلت الوكالة الأمريكية عن حقها في توزيع الأخبار خارج الولايات المتحدة ؛ مقابل إطلاق حريتها في الحصول على الأخبار الأجنبية من الوكالات الثلاث ، وتوزيعها داخل الولايات المتحدة.

غير أن مدير أسوشيتدبرس (كوبر) شنّ حملةً تهدف إلى كسر الاحتكار في مجال الأخبار الدولية ؛ الذي ظل قاصراً على الثلاثي الأوروبي تحت قيادة رويترز البريطانية ؛ التي كانت محور هجوم كوبر ؛ حيث اشتكى من أنهم ينقلون للعالم حروبنا مع الهنود الحمر في الغرب ، وجرائم الغوغاء والرعاغ في الجنوب. لخصّ كوبر اتهامه بأن: رويترز تسيطر على حركة الاتصال الدولية . وفيما بعد ؛ تمكّن (كنت كوبر) من إقناع وكالة يونائتد برس بتوقيع اتفاقية لمدة خمس سنوات لمواجهة الوكالات الأوروبية<sup>(١)</sup>.

في الستينات من القرن العشرين ؛ كان ربع الأخبار التي تتداولها وكالات الأنباء الغربية - الأربعة فقط - يحدث في الدول النامية ، على الرغم من أن سكانها كانوا يشكلون ثلثي البشرية تقريباً ، علاوة على ذلك - بحسب نُقادٍ أكثرهم ماركسيون - فإن الأخبار المتعلقة بالعالم الثالث

(١) د. ر . مانكيكان ، ترجمة فائق فهم ، تدفق المعلومات بين الدول المتقدمة والنامية ، دار العلوم للطباعة والنشر ، ١٩٨٢ ص : ١٧ ١٩ .

كانت سلبية ، وتحولت الشكوى - فيما بعد- إلى الهجوم على أرقام البث المباشر ؛ التي نُظر إليها كتهديدٍ للهوية الثقافية وتوزيع للترددات على طيف المذيع الذي كان لا يزال يُنظر إليه كاختراعٍ نادر.

كان الغربيون يقولون إنهم يُدعمون التحول الإعلامي الحر ، وأنه في أي بلد يتحول من النظام الشمولي إلى النظام الديمقراطي ؛ لابد من أن يتحول من إعلام الدولة إلى الإعلام الخاص ، ولابد كذلك من تعدد القنوات ، وأن إعلام الدولة لا دور له غير التعبئة والدعاية ، فيما كان المعسكر الرفض يرى أن إعلام الدولة يقوم على تقديم خدمة عامة لا يستطيع الإعلام الخاص القيام بها.

فواحد يقول إن الإعلام الموجه يهدف إلى تعبئة مشاعر الناس ، والثاني يقول إن الإعلام الرأسمالي يهدف إلى مصلحته أولاً وأخيراً.

### المناداة بنظام إعلامي جديد

في عام ١٩٥٩ م طلب المجلس الاقتصادي والاجتماعي في الأمم المتحدة ؛ من اليونسكو أن يُعد للجمعية العامة للأمم المتحدة برنامجاً لدعم تطوير وسائل الإعلام الجماهيرية في كل أنحاء العالم ؛ لكن شيئاً من هذا لم يحدث إلا في ظروف السبعينات المتخلفة اقتصادياً.

وفي يناير ١٩٦٠م عُقد (في بانكوك) أول اجتماع خاص بتطوير وسائل الاتصال في آسيا والشرق الأقصى ، ثم تلتها عدة الاجتماعات لمعالجة مشكلة التدفق الإخباري الغربي ، والنهوض بإنشاء وكالات إقليمية ووطنية.

وفي أمريكا اللاتينية : عقد اجتماع في سنة ١٩٦١م ، وفي أفريقيا سنة

١٩٦٣م.

وفي باريس عام ١٩٧٢ م : أصدرت الجلسة العامة السابعة عشرة لليونسكو؛ إعلان المبادئ الهادية حول البث الفضائي من أجل التدفق الحر للمعلومات ، وقد أكد الإعلان ضرورة السيادة الثقافية والسيطرة الدولية على دقة بث الأخبار .

ويرصد دكتور مصطفى المصمودي تطور فكرة المناداة بالنظام الإعلامي الجديد ، بدءاً من توصية ملتقى عدم الانحياز في الجزائر سنة ١٩٧٣ م ؛ الذي نادى في إحدى توصياته بنظام إعلامي عالمي جديد .

وفي ملتقى خبراء عدم الانحياز في تونس في بداية سنة ١٩٧٦ م - المتعلق بمسائل الاتصال في الدول النامية - أخذ المفهوم مكانته الدولية ، ثم صادق وزراء إعلام عدم الانحياز في نيودلهي بالهند على توصيات تونس ؛ ثم دعمها بواسطة الرؤساء في مؤتمر كولومبو في أغسطس ١٩٧٦ م ، ثم تبنى المؤتمر العام لليونسكو (التاسع عشر) في نيروبي ؛ برنامجاً لتقليص الفارق في ميدان الإعلام بين الدول المصنّعة والدول النامية ، وقد كللت مساعي البلدان غير المنحازة في ١٩٧٨ م عندما أقر المؤتمر العشرون لليونسكو لائحة يُرسي المؤتمر بمقتضاها نظاماً عالمياً جديداً للإعلام والاتصال ، ثم أقرت الجمعية العامة (الثالثة والثلاثون) للأمم المتحدة ؛ لائحة مماثلة تؤكد إرساء نظام عالمي جديد للإعلام والاتصال ؛ بعد شهر من مؤتمر اليونسكو " (١) .

(١) د. مصطفى المصمودي ، النظام الإعلامي الجديد . عالم المعرفة ، الكويت العدد ٩٤ ، أكتوبر

## عالم واحد ، أصوات متعددة

كانت مجتمعات البلدان الفقيرة هي المعنية في كونها لا تتعامل مع المفهوم المعاصر لحرية التدفق الحر للمعلومات ؛ المقترن بالحق في الاتصال ، وهم يرون هذا الواقع يُخفي هيمنةً من قبل الدول الكبرى ، وذلك ما عبّر عنه البيان الختامي لمؤتمر هلسنكي للأمن والتعاون في أوروبا ؛ الذي انعقد في منتصف عام ١٩٧٣ م ، حيث أوصى بإعداد مقترحات لتسهيل نشر جميع أنواع المعلومات ؛ بمزيد من الحرية ، وعلى أوسع نطاق " (١) .

كانت لجنة عيّنها المؤتمر العام التاسع عشر لليونسكو بنيروبي عام ١٩٧٦ م ؛ قد اتخذت قرارات مثيرة للجدل ؛ منها ما سمته بعض الدول النامية ( المادة ١٢ سيئة السمعة ) ، والتي هوجمت بسبب لغتها التي نصت على أن الدول مسؤولة أمام العالم عن أنشطة كل الوسائط الجماهيرية التي تحت سلطتها ، وقد كُلفت اللجنة الجديدة بما وصفه رئيسها ؛ السياسي الإيرلندي شون ماكبرايد ؛ بأنها المهمة الضخمة ، المتمثلة في فحص كل مشكلات الاتصال في المجتمع الحديث .

ومن هنا ؛ عُرف دور ما سُمّي بـ : اللجنة الدولية لدراسة مشكلات الإعلام (٢) ، وظهر تقرير اللجنة بعنوان : أصوات متعددة ، عالم واحد One

(١) طاهر عبد مسلم علوان ، من مجاعة المعلومات إلى ثورة المعلومات ، الحق في الاتصال أم الحق في الهوية ؟ مجلة الكلمة ، العدد (٢٧) - السنة السابعة ، نيو صوفيا قبرص ، ٢٠٠٠ م .

[http://www.kalema.netarticles27a\\_5.html](http://www.kalema.netarticles27a_5.html) .

(٢) اللجنة الدولية لدراسة مشكلات الإعلام ، International Commission for the Study of Communication Problems



World, Many Voices في العام ١٩٨٠م، وتحولت توصياتهم إلى تاريخ<sup>(١)</sup>.

وفي بحثها عن تدفق متوازن للمعلومات ، تبنت الدول النامية بعض الإجراءات والممارسات التي تتعارض وتتقاطع بشدة مع التقاليد والممارسات الصحفية الغربية ؛ بمزيد من السيطرة الحكومية على وسائل الإعلام ، وتقليص دخول الصحفيين إلى مناطق الأحداث والحصول على المعلومات ، وإصدار الموثيق الأخلاقية ، ومنع تراخيص الصحفيين ، وفرض ضرائب البث الإذاعي ، وكلها أفكار يرفضها النظام الإعلامي لدول الشمال.

خلاف النظام الإعلامي الغربي مع فكرة النظام العالمي الجديد للمعلومات الإعلام ليس خلافاً نظرياً فحسب ، لأن تلك الفكرة تضيي شرعية على تدخل الحكومات في بث وتلقي المعلومات ، وبالتالي فقد قاد هذا الوضع إلى تبلور اتجاهين ، أطلق احدهما ما سُمي بالنظام الإعلامي الجديد - وهو مشروع دول الجنوب الفقيرة - والآخر مَضَى قُدماً في مشروعه الإعلامي العابر للحدود ؛ إلى درجة أنه في ١٩٨٤ م ، ومع تنامي الانتقاد من قِبل أطراف في عالم الجنوب المسنود من الاتحاد السوفيتي والصين ؛ انسحبت الولايات المتحدة من عضوية اليونسكو ، ثم انسحبت المملكة المتحدة وسنغافورة في عام ١٩٨٥ ، وانخفضت ميزانية المنظمة انخفاضاً كبيراً (وقد عادت المملكة المتحدة إلى عضوية المنظمة في ١٩٩٧ ، فيما استمر غياب الولايات المتحدة إلى ٢٠٠٣م).

(١) شون ماكبرايد. أصوات متعددة وعالم واحد ، نحو نظام عالمي جديد للإعلام والاتصال أكثر عدلاً وكفاءة ، اليونسكو ، ١٩٨١ ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، الجزائر. ط ١٩٨١ ، التوصية رقم (٥٥) ص ٥٤٨

## انهيار حِقبة البحث عن النظام الإعلامي الجديد

كان الهدف الأساس للنظام العالمي الجديد : إعادة بناء نظام إعلامي بأولويات جديدة ؛ تساعد الدول النامية على تحقيق أثر أكبر على أنظمتها (الإعلامية ، والمعلوماتية ، والاقتصادية ، والثقافية ، والسياسية) ؛ حيث تنظر الدول النامية إلى النظام الإعلامي العالمي الراهن على أنه من مخلفات المرحلة الاستعمارية ، ولا يهتم إلا بالقيم التجارية وقيم السوق فقط.

في المقابل رفضت الحكومات الغربية ومؤسسات الأخبار ؛ مثل هذه الخطط ؛ بدعوى أنها تساعد على زيادة التدخلات في شؤون الصحافة ، وبالتالي تخفيض أسهم السوق وحصص الفائدة<sup>(١)</sup>.

وبعد أن سيطرت أحداث وظروف الحرب العالمية الثانية ؛ جاءت الحرب الباردة لتواصل فرض ظروفها هي الأخرى على الإعلام الدولي ؛ حيث كانت أغلب الاهتمامات منصبه على أشكال سيطرة الحكومات على وسائل الإعلام ، وأثر الحكومات وغيرها من القوى الضاغطة على حرية التعبير ، أو حرية التدفق الحر للمعلومات ، أو المعلومات العابرة للحدود الدولية.

وفي الإطار العملي ؛ كانت أغلب اهتمامات وسائل الإعلام - على مستوى تغطية الأحداث الدولية - تقدم مادتها في صورة التقابل بين الغرب والشرق ، وبالتالي الشيوعية مقابل الرأسمالية.

وفي تسعينات القرن العشرين ؛ ومع انهيار الاتحاد السوفيتي السابق وانهيار الشيوعية كقوة أساس ؛ تغيرت العوامل التي تمثل دعامة للإعلام الدولي.

(١) توماس ما كفيل ، ترجمة: عبد الله الكندي . الإعلام الدولي بين النظام العالمي الجديد والاستعمار الإلكتروني ، [http://www.nizwa.com/volume38p106\\_118.html](http://www.nizwa.com/volume38p106_118.html)

الآن ، وبعد مُضي سنوات من الصراع ، وعلى الرغم من أن بعض الجهات في العالم ما زالت تدافع عن الحق في النزعة الاستقلالية لسياسات اتصال وطنية ؛ إلا أن جهات عديدة في العالم تعتقد أن قضية النظام العالمي الجديد للمعلومات والإعلام ؛ لم تعد قضية عالمية ؛ بل حتى منظمة اليونسكو تخلت عنها ، أو على أقل تقدير قللت من اهتمامها بها.

والذي حدث أن نظاماً إعلامياً جديداً آخر - أُطلِّ بأدواته ونزعاته وأهدافه - لم يصمد أمامه واحد من أعلى أبراج الإرسال التلفزيوني في ميدان ألكسندر بلاتس في شرق برلين ؛ فقد هزمته أطباق التلفاز الصغيرة التي انتشرت سريعاً في شرق أوروبا ، وكان برج بلاتس يستهدف بالدرجة الأولى صد التيار التلفزيوني القادم من غرب ألمانيا المسنود بـ السي إن إن وغيرها من محطات تلفازية وإذاعية غربية ؛ تؤسس لنظام إعلامي جديد.

### تأثيرات الإعلام الجديد .. الفرص والتحديات

نشأ عن التطور المتسارع لنظم الإعلام الجديد ؛ تحولٌ عميقٌ في مسار البشرية ؛ يُذكرنا بالتحويلات التي حدثت لدى الانتقال بين مرحلتَي الزراعة والصناعة ، حيث كانت معظم القوى العاملة تعمل في مجال الزراعة ، ثم بدأت تركز في مجال الصناعة ، وهي حالياً تركز في المعلوماتية والمعرفة.

وكما كانت المجتمعات والدول والاقتصاديات توصف بأنها زراعية ثم صناعية ، فإنها اليوم توصف بمجتمعات المعلومات.

وكما غيرت الصناعة في موازين القوى والعلاقات الدولية الاستراتيجية والاقتصادية ؛ فإن المعرفة تغير معظم - إن لم يكن جميع - المنظومات الاقتصادية والتنموية والسياسية والاستراتيجية.

ويصور (تروبين كروك) Troben Krogh التغييرات العميقة في المجتمعات كالتالي: " المجتمعات المعاصرة تعيش اليوم ثورة اتصالات واضحة - نتيجة للتطورات في الاتصالات والحاسوب - مع توسع كبير في وسائل الاتصال الجماهيري.

ويطرح (كروك) رؤيتين مختلفتين عن أثر هذه الرؤية حسب تعبيره: "المتفائلون يقولون إن تطور التكنولوجيا الحديثة قدّم للإنسان فرصاً غير مسبوقة للاتصال والتفاعل"، ويشعر المعسكر الآخر بقلق عميق تجاه أثر هذه التطورات على استخدام العمالة والتفاعل الاجتماعي والتعددية الثقافية" (١).

حالة الانتقال هذه أطلق عليها ألفين توفلر Alvin Toffler : الموجة الثالثة، وهو يقصد الدخول في عصر المعلومات بعد العصر الصناعي ، ويتحدث عن سد الفجوة ؛ مُركزاً على التعليم ، ويقارن مناهج الأمس واليوم والغد، كما يتحدث عن نهاية التكنوقراطية، وعن انقضاء صلاحية ديمقراطية التمثيل النيابي ، ويخلص إلى القول بأن المعرفة - كوسيلة - تختلف عن كل الوسائل الأخرى لأنها لا تنضب ، ويمكن استخدامها من قبل الطرفين.

وتصف كريس لافان Chris Laphan هذه الثورة بقولها: " عند بلوغنا القرن العشرين ؛ ظهرت قوتان تُعبران عن الاتصال الجماهيري ؛ الأولى : استخدام الحاسوب كوسيلة لمعالجة وتحليل ونشر المعلومات ، والثانية : التطور المتسارع لوظيفة تكنولوجيا الاتصال ؛ بما يُبعد ارتباطها بالزمن

(١) للمزيد ؛ انظر :

والمسافة ، وكسرت نموذج الواحد إلى العديد One to many ؛ الذي كان يميز نظم الاتصال التقليدية ، وأصبح بإمكان شخص واحد يملك حاسوباً وخطاً هاتفياً؛ أن يصبح ناشراً<sup>(١)</sup>.

ويقول تقرير التنمية البشرية لعام ١٩٩٩م الصادر عن برنامج الأمم المتحدة الإنمائي - وهو يشير لأول مرة للآثار الاجتماعية للثورة الاتصالية:- " إن تكنولوجيا الاتصال تجعل عهد العولمة عهداً متفرداً عن أي عهد آخر؛ فقد أدى وجود الإنترنت وأجهزة الهاتف المحمولة وشبكات الأقمار الصناعية ؛ إلى انتفاء المكان والزمان ، وأدى الجمع بين الحاسوب والاتصالات إلى انفجار غير مسبوق في سبل الاتصالات في بداية التسعينات ، وتحول الإنترنت من أداة متخصصة في الأوساط العلمية ؛ إلى شبكة واسعة الاستعمال ، محدثة تحولاً في التفاعل الاجتماعي.

### اندماج الوسائل والتحدي التكنولوجي

يشير سعود كاتب إلى حالة التماهي بين وسائل الإعلام الجديد كإحدى أهم الصفات التي تتصف بها : " فتكنولوجيا الإعلام الجديد أدت إلى اندماج وسائل الإعلام المختلفة ، والتي كانت في الماضي وسائل مستقلة لا علاقة لكل منها بالأخرى ؛ بشكل أُلغيت معه الحدود الفاصلة بين تلك الوسائل (التلفاز والإنترنت) فاندمجا بشكل تشير التوقعات إلى أنه سيكون اندمجا كاملاً في القريب العاجل ، فجهاز التلفاز أصبح يستخدم لمشاهدة برامج التلفاز ، وفي نفس الوقت الإبحار في الإنترنت ، وإرسال واستقبال رسائل البريد الإلكتروني ، كما أن جهاز الكمبيوتر أصبح بالإمكان

(١) للمزيد ؛ انظر :

استخدامه كجهاز استقبال لبرامج التلفاز والمذياع .

شركات الكيبل التلفازي أصبحت تعتمد بشكل متزايد على الأقمار الصناعية في بث برامجها ، وهكذا نجد أن جميع وسائل الإعلام الجماهيري الحالية أصبحت وسائل إلكترونية بشكل أو بآخر<sup>(١)</sup>.

لقد أحدث التطور في النظام الاتصالي تغييرا بعيد المدى - عالمياً وداخلياً ومحلياً - فالاتصالات الشبكية تربط كل شيء بكل شيء آخر ، خالقةً مجتمعاً شبكياً يفترض تحولات معقدة ومتناقضة ، تتمثل في الآتي :

١ / اللامركزية مقابل إعادة المركزية ، فقد حلت محل الحدود الاقتصادية القديمة التي كانت موجودة حول الدول : مراكز جديدة للقوة في القطاع الخاص . فالشركات متعددة الجنسيات ؛ نشرت أنشطتها في شتى أنحاء العالم ؛ بفعل الاتصالات السريعة زهيدة التكلفة ، وفي الوقت نفسه كانت الاتصالات الشبكية قوة هائلة لتحقيق التكافؤ للمشاريع الصغيرة ؛ إذ مكنتها من المنافسة والنجاح في أماكن مربحة من السوق العالمي .

٢ / التفتت مقابل الاندماج ، فالوجود التقليدي لمجتمعات وطنية ؛ يخترقه الآن نشوء مجتمعات موصلة شبكياً ؛ تجمع بينهم السياسة أو الأصل العرقي أو المصالح أو الجنس أو العمل .

٣ / المجانسة مقابل التنوع ، فصناعة الترفيه والإعلام العالمية - التي نشرت الأفكار والثقافة والسياسة - تسيطر على كل من شبكات التوزيع والبرمجة ؛ بما فيها الأخبار والأفلام التي تُبث تلفازياً عن طريق الكيبل والأقمار الصناعية في شتى أنحاء العالم - وفي الوقت نفسه أتاح انخفاض

(١) سعيد كاتب ؛ نفس المصدر .

تكلفة التكنولوجيا : تنوع الثقافات التي تُبث ، فمواقع الإنترنت المتعددة اللغات ، والبرامج الإذاعية باللغات المحلية ؛ تصل إلى الجماعات التي تمثل أقلية " (١).

ويلخص (فضيل الأمين) التغيرات التي حدثت للمجتمعات - بفعل هذه الثورة - في :

١ / لم تعد المسافات عائقاً أمام الاتصالات ؛ مما أدى إلى إحداث أثر عميق في التركيبة التقليدية للتنظيم المكاني الرأسي الذي تقوم عليه الحياة البشرية ، فالتنظيم المكاني الرأسي بدأ في الاختفاء تدريجياً ؛ لصالح التنظيم الأفقي العابر للحدود.

٢ / أصبحت عملية نقل الكلام والنصوص والصور تخضع لطريقة انسياب النبضات الكهربائية ، ولهذا فإن عمليات الفصل بين أساليب إرسال الرسائل المختلفة - الصوت والصورة والنص - قد بدأت تنتهي عملياً.

٣ / أدى هذا التطور التكنولوجي إلى خلق ما يُعرف بـ : مجتمع المعلومات ، هذا المجتمع ستسع فيه إطارات الترويج ، فمعالجة المعلومات في هذا المجتمع أصبحت تشغل حيزاً أكبر في النشاط الإنساني.

٤ / إن ثورة المعلومات هذه ؛ بقدر ما هي قادرة على توفير المعلومات بطريقة الاتصال الجماهيري ؛ فهي كذلك تسمح بإرسال رسائل معينة لأفراد معينين تستجيب لاحتياجاتهم الفردية أو أعمالهم المختصة" (٢).

(١) تقرير التنمية البشرية لعام ١٩٩٩ م ، صندوق الأمم المتحدة الإنمائي . نيويورك

UN Plaza. New York. 10017 ص ٥٨ .

(٢) فضيل الأمين . من ثورة الاتصال الجماهيري إلى ثورة الاتصال الإلكتروني ، مجلة قضايا دولية . معهد الدراسات السياسية ، إسلام آباد . باكستان ، ١٢.٦ من فبراير ١٩٩٥ م ص ٥.

يقول آل غور: " إن التطورات في مجالات التكنولوجيا الاتصالية والحاسوب جعلت من الممكن نشوء نظام اتصالات كوني ، وفي مدى سنوات قليلة فإن شبكة الشبكات Network of Networks ستساعد في جمع كل المجتمعات في العالم من خلال طريق المعلومات السريع ، هذه البنية الأساس للمعلومات ؛ ستسمح للناس - من أي مكان في العالم - بالتفاعل بطريقة كانت مستحيلة من قبل ، وسيصبح نظام المؤتمرات البعدية المصورة ؛ أمراً عادياً ممكناً ؛ مثله مثل الفاكس .

والأكثر أهمية : أنه من خلال هذه البنية الأساس ؛ ستتمكن من الحصول على المعلومات التي نريدها ، في الوقت الذي نريده ، من المكان الذي نريده" (١) .

يقول د. مصطفى المصمودي: " اعتبرت إدارة الرئيس الأمريكي "بل كلينتون" وقت انتخابه عام ١٩٩٢م ؛ أن الثورة الرقمية - وبخاصة طريق المعلومات السريع - قضية ذات أولوية رئيسية ، ففي مؤتمر الاتصالات العالمية الذي عقد في بيونس أيرس عام ١٩٩٤م ، طرح آل غور رؤية الولايات المتحدة بشأن البنية الأساس للمعلومات دولياً ؛ والتي يعتقد أنها تهدف إلى دعم النمو الاقتصادي النشط المستدام ، وتعزيز الديمقراطية ، وتسهيل إيجاد حلول أفضل للتحديات الطبيعية العالمية ، وتحسين الرعاية الصحية ، وتعزيز الإحساس بالمشاركة في توجيه دفة الحياة على كوكب الأرض" (٢) .

(١) انظر : Al Gore. Information Highway . World Almanac .Pharos Publishing .New York .1995 P:35

(٢) د. مصطفى المصمودي . ثورة المعلومات والاتصالات وتأثيرها علي الدولة والمجتمع بالعالم العربي ، مركز الإمارات للدراسات الاستراتيجية ، أبو ظبي ١٩٩٨ . ص ١٠٣ .



" وقد انعكس هذا التفكير على بقية أنحاء العالم ؛ وبخاصة في أوروبا واليابان. ففي مؤتمر الدول الصناعية السبع الكبرى ، في مقر البرلمان الأوروبي في بروكسيل ، فبراير ١٩٩٥م ، أعلن جاك سانتر رئيس المؤتمر رئيس اللجنة الأوروبية ؛ عن وثيقة بعنوان : "خاتمة الرئاسة" ؛ تؤكد على أن تطوير مجتمع المعلومات يهدف إلى دعم مستقبل القدرة التنافسية في أوروبا ، ودعم الاستثمارات في الاتحاد الأوروبي ، وحفز الطاقات الابتكارية والإبداعية.

ولنا أن نتخيل ما ستكون عليه الأسواق في المستقبل القريب أو في منتصف القرن الحادي والعشرين ، فلا بد من أن يصبح الأوروبيون : المحركين والمصممين والمشيدين والمنتجين والمصلحين والموردين والممولين لمجتمع المعلومات العالمي ، ومعنى ذلك أننا يجب أن نوفر الحد الأدنى من الفرص المتاحة لأصحاب المشروعات ، لتنمية منتجاتهم وخدماتهم" <sup>(١)</sup>.

### حرية الإعلام والتحدي المعلوماتي

توجد غاية رئيسة لتكنولوجيا الإعلام الجديد ، وهي : "أنها جعلت من حرية الإعلام حقيقة لا مفر منها ، فشبكة الويب - مثلاً - جعلت بإمكان أي شخص لديه اتصال بالإنترنت ؛ أن يصبح ناشراً ، وأن يوصل رسالته إلى جميع أنحاء العالم بتكلفة لا تُذكر ، وهناك على الإنترنت عشرات الآلاف من مجموعات الأخبار التي يمكن لمستخدميها مناقشة أي موضوع يخطر ببالهم ، مع عدد غير محدود من المستخدمين الآخرين في أنحاء متفرقة من العالم" <sup>(٢)</sup>.

(١) المصمودي ، نفس المصدر ، ص ١٠٤

(٢) سعيد كاتب ، نفس المصدر .

وإذ تفرض المعلوماتية والشبكية منظومةً اجتماعية وثقافية وسياسية جديدة يجب أن تؤخذ بالاعتبار؛ فإن التكنولوجيا لم تعد تطبيقاً مجرداً لاكتشاف علمي؛ ولكنها متواليّة اجتماعية ثقافية جعلت تكنولوجيا المعلومات والاتصالات حياة شبكية، وقوّضت الهرم الذي ظل رمزاً وفلسفة ومنهجاً، فقد كانت الحكومات والنخب والإدارات العليا في الشركات والمؤسسات تملك هذه المعلومات وتتحكم تماماً في طريقة بثها وتدفعها، وتحدد من تصل إليه المعلومة. وكانت جهة واحدة هي التي تتلقى جميع المعلومات ثم تقرر مصيرها.

لقد أحدث التطور السريع في تكنولوجيا المعلومات وتطبيقاتها هوة بين الأغنياء والفقراء - هي الهوة الرقمية - ولمحاولة التخفيض من عمق هذه الهوة؛ نظمت الأمم المتحدة أول قمة عالمية حول مجتمع المعلومات - وهي قمة لزعماء العالم؛ الملتزمين بتسخير إمكانيات الثورة الرقمية في تكنولوجيا المعلومات والاتصالات لخدمة البشرية - ووفقاً للقرار ١٨٣/٥٦ للجمعية العامة للأمم المتحدة؛ تم تنظيم القمة العالمية من مرحلتين - جنيف، ١٢-١٠ من ديسمبر ٢٠٠٣م، وتونس ١٨-١٦ من نوفمبر ٢٠٠٥م، وقد حضر مرحلة جنيف من القمة العالمية وفودٌ رفيعة المستوى من ١٧٥ بلداً؛ تشمل رئيس ونائب رئيس ٥٠ دولة وحكومة. واعتمد زعماء العالم المجتمعون - في مرحلة جنيف من القمة العالمية في ١٢ من ديسمبر ٢٠٠٣م - إعلان مبادئ القمة، تحت عنوان: "بناء مجتمع المعلومات: تحدّي عالمي في الألفية الجديدة". والذي يضع أسس مجتمع المعلومات الناشئ.

تعهدت القمة بسد الفجوة بين الدول المتقدمة والدول النامية؛ لضمان تمكين كافة الناس من الاستفادة من الثورة الرقمية التي تشهدا المعلومات والاتصالات.

ثم خرجت قمة تونس بما أطلق عليه: "التزام تونس" الذي يؤكد الالتزام ببناء مجتمع معلومات جامع ذي توجه تنموي ، ويضع البشر في صميم اهتمامه ؛ حتى يتسنى للناس في كل مكان إنشاء المعلومات والمعارف ، والنفاذ إليها واستعمالها ، والمشاركة بها وتبادلها ، وتأكيد الطابع العالمي لجميع حقوق الإنسان والحريات الأساس ، وعدم قابليتها للتجزئة ، وترابطها وتأزرها، بما فيها الحق في التنمية والديمقراطية والتنمية المستدامة.

### التحدي الثقافي والاجتماعي وسلطة الجمهور

غيرت تكنولوجيا الإعلام الجديد ؛ أنماط السلوك الخاصة بوسائل الاتصال ؛ من حيث تطلبها لدرجة عالية من الانتباه ؛ فالمستخدم يجب أن يقوم بعمل فاعل يختار فيه المحتوى الذي يريد الحصول عليه ، وكثير من الأبحاث التي تدرس أنماط سلوك مستخدمي وسائل الإعلام الجماهيري ؛ توضح أن معظم أولئك المستخدمين لا يلقون انتباها كبيرا لوسائل الإعلام التي يشاهدونها أو يسمعونها أو يقرؤونها ، كما أنهم لا يتعلمون الكثير منها ، وفي واقع الأمر فإنهم يكتفون بجعل تلك الوسائل تمر مروراً سطحياً عليهم ؛ دون تركيز منهم لفحواها ، فمشاهدو التلفاز - مثلاً - قد يقضون ساعات في متابعة برامج التلفاز ، ولكنها غالباً ما تكون متابعة سلبية ؛ بحيث لو سألتهم - بعد ساعات بسيطة - عن فحوى ما شاهدوه ؛ فإن قليلاً منهم سيتذكر ذلك .

الإعلام الجديد - من ناحية أخرى - غير تلك العادات ؛ بتحقيقه لدرجة عالية من التفاعل بين المستخدم والوسيلة " (١) .

(١) سعيد كاتب ، تعريف الإعلام الجديد ، نفس المصدر .

تمر صحافة الإنترنت - حالياً - بالمرحلة التي سماها فين كروسبي :  
الموجة الثالثة ، وهي التي حققت فيها مستحدثات الإنترنت حالتِي  
التخصيص والفردانية اللتين مكنتنا أفراد الجمهور العادي من تأسيس نُظمٍ  
صحافية جديدة ؛ تعددت أسماؤها ولم تبلور خصائصها بشكل كامل ؛  
مثلها مثل العديد من التجارب الصحافية في الإنترنت .

ويطلق مارك ديوز على هذا النوع ؛ اسم : User-generated content ،  
ويرى أنها تقع بين مواقع الأدلة الإخبارية ومواقع التعليق .

وأطلق عليها دان غليمور وكريس ويليس و شين بومان ؛ تسميةَ  
صحافة المواطن ، وهي معروفة كذلك بالصحافة التشاركية ، وقد ناقش  
هذه التسمية جي لاسيكا في كتابات مختلفة ، وبحسب لاسيكا فإن :  
"الصحافي المواطن يلعب دوراً نشطاً في عملية جمع وتحليل ونشر  
الأخبار"<sup>(١)</sup> ، ويطلق عليها أيضاً : صحافة الجمهور التي يقوم بها قبل الناس  
العاديين ، وهي تعمل على الاستفادة منهم - بمن فيهم الذين يعيشون على  
هامش المجتمع - وذلك للدخول في نشاط كان سابقاً حكراً على  
المؤسسات الصحافية والصحافيين المحترفين .

وبحسب شاين برومان و كريس ويليس ؛ فإن صحافة المواطن هي :  
نشاط للمواطنين ؛ يلعبون خلاله دوراً حياً في عملية جمع وتحرير وتحليل  
الأخبار ، وهذه المشاركة تتم بنية مد الوسائل الإعلامية بمعلومات دقيقة  
موثوق بها ومستقلة ، تستجيب لمتطلبات الديمقراطية " .

(١) انظر : Lasica, J. D. "What is Participatory Journalism?" August 7, 2003, Online  
Journalism Review, August 7, 2003.

<http://www.ojr.org/ojr/workplace/1060217106.php>.

ويقدم الباحثان ديباجحة في موقع "نحن الإعلام" على [www.hypergene.net](http://www.hypergene.net) ، هكذا : "نحن في بداية الحقبة الذهبية للصحافة ، هي صحافة لم نعهدها من قبل ؛ وقد تنبأ الكثير من الخبراء في مجال المستقبلات أن خمسين بالمائة من الإنتاج الصحفي سيتم بواسطة المواطنين بحلول عام ٢٠١٢" (١).

لقد أصبحت الشبكات الاجتماعية هي البديل المائل لأنشطة الماضي التقليدية ، وحالة التفاعل بين مجتمعات اليوم مع البيئة والمجتمع المحيط هي التي تسيطر على النظام الاتصالي بدرجة لافتة للنظر ، وقد نشط جزء كبير من شبكات التبادل في نقل الأفلام القصيرة التي ينتجها أناسٌ عاديون حول العالم ، أو هواة الإخراج السينمائي ، بالحد الأدنى من الموارد ، وهو ما يؤكد حدوث تحول جذري في أدوات التخاطب والتعبير ، فخلال السنوات الماضية بات شائعاً إرسال الصور عبر الإنترنت ، ثم إرسال الأفلام القصيرة عن طريق البريد الإلكتروني .

هذه الشبكات الاجتماعية ، يقضي فيها العديد من الشباب والمراهقين وقتاً طويلاً جداً في التفاعل مع بعضهم البعض ، وعبر هذا التفاعل الثابت مع مجتمعات كبيرة ؛ يستطيع الشباب تطوير فهم ثقافي أفضل ، وصفات قيادية أقوى .

(١) انظر :

ومن الممكن أن تكون المواقع الشهيرة (مثل ماي سبيس) أداة للتطور الاجتماعي؛ ضرورة للشباب؛ للإسهام بجدية في المجالات السياسية، والاجتماعية، والثقافية، والاقتصادية لمجتمع اليوم.

ومن النماذج الرئيسة: موقع أوه ماي نيوز، فلكر، يوتيوب، و ماي

سبيس.

وكل واحد ينشط في دور معين.